ليس ما قدمت لهم أنفسهم الآية أي قدمته ذا حين واحد منهم ثم قبضه الله فقوله تعالى أن سخط
الله عليهم أن سخط موضع رفع بدل من ما ويحتمل أن يكون المخصوص هو أن سخط الله عليهم وقوله
تعالى والنبي إن كان المراد به داوود فالنبي داوود وعيسى وإن كان المراد معاصري نبينا صلى
الله عليه وسلم فالمراد بالنبي هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله
تعالى ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بني إسرائيل وإنه يعني به المنافقين ونحوه لمجاهد
قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الآية اللام في قوله لتجدن
لام الابتداء وقال الزجاج هي لام القسم وهذه الجملة مطلع مستحسن على الزمان كله وهكذا هو
الأمر حتى الآن وذلك أن اليهود مرنوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم ومردوا على استشعار
اللعنة وضرب الذلة والمسكنة عليهم فتحققت عداوتهم وكثر حسدهم فهم أشد الناس عداوة
للمؤمنين وكذلك المشركون عبدة الأوثان والنيران وأما النصارى فإنهم يعظمون من أهل
الإسلام من استشعر وامتد حبه دينه ويستهينون من فهموا منه العسف فإنهم إن حاربوا
فإنما حربهم أنفة لا أنه شيء عندهم بالحرب وإذا سالموا فسلمهم طاف واليهود لعنهم الله
ليسوا على شيء من هذه الخلال بل شأنهم الخبث واللي بالألسنة والحيل والغدر ولم يصف
الله تعالى النصارى بأنهم أهل ود وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين وفي قوله
تعالى الذين قالوا إنا نصارى إشارة إلى معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى أنهم
ليسوا على حقيقة النصرانية وإنما هو قول منهم وزعم وقوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا الآية معناه ذلك بأن منهم أهل خشية وانقطاع إلى الله تعالى وعبادة
وإن لم يكونوا على هدى فهم يميلون إلى أهل العبادة والخشية وليس عند اليهود
ولا كان قط فيهم أهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها متكالبون
في الدنيا وأمور الدنيا حتى كأنهم لا يؤمنون بالآخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال البعجي
والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم
بلغة الروم وهذا ضعيف وقع الوفاق فيه بين اللغتين اهـ ووصف الله تعالى النصارى
بأنهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم
مدحهم سبحانه بقوله وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق الآية قال النووي ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا

هو المقصود

هو المقصود المطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله أكثر من أن تحصى
وأشهر من أن تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة
أو معظم ليلة يتدبرها وصعق جماعة منهم عند سماع القرآن ومات جماعة
منهم ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فإن البكاء عند القراءة صفة
العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله عز وجل ويخرون للأذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا وقد وردت في ذلك أحاديث وآثار من الحلية وحكى ابن عباس وابن
جبير ومجاهد أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليروه ويعرفوا أحواله فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وآمنوا
ورجعوا إلى النجاشي فآمن ولم يزل مؤمنا حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وروي أن نعش النجاشي كشف للنبي صلى الله عليه وسلم فكان يراه صلى الله عليه وسلم
من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة أن النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي
صلى الله عليه وسلم قال أبو صالح كانوا سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين
عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية في المودة
عام فيهم وما ينصرف بتوجيه أي لكن صدر الآية خاص بمن آمن وإنما وقع التخصيص من
قوله تعالى وإذا سمعوا وجاء الضمير عاما إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد منهم وفي هذا
استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليؤمنوا قال ع مما عرفوا من الحق من الأولى
لابتداء الغاية قال أبو البقاء ومعناه من أجل الذي عرفوا ومن الثانية لبيان
ما الموصولة اهـ قال الهروي تفيض أي تسيل منه العين وفي العربية أفيض والقلم إن
وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا خرجه البزار من الكوكب الدري وفيه عن ابن أرابط
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من عينيه مثل الذباب دموعا من خشية الله
لم يدخل النار حتى يعود اللبن في الضرع اهـ وقوله تعالى مع الشاهدين يعني نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته قاله ابن عباس وغيره وقال الطبري لو قال قائل معنى ذلك
مع الشاهدين بتوحيدك من جميع العالم كان صوابا وهو كلام صحيح وكان ابن عباس
خص أمة محمد لقول الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وقولهم وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق توقيف لأنفسهم أو محاجة لمن عارضهم من الكفار والقوم الصالحون

Copyright © King Saud University